الإعلام الاجتماعي وتأثيره على المجتمع الإفريقي "أوغندا نموذجًا"

(*) د. فاطمة على محمد البتانوني

كاتبة وباحثة مصرية (*)

http://www.qiraatafrican.com/home/new/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D9%88%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A-%D8%A3%D9%88%D8%BA%D9%86%D8%AF%D8%A7-%D9%86%D9%85%D9%88%D8%B0%D8%AC-%D8%A7?fbclid=IwAR39ECLd2rOgVwMN69kY3ODBzmbQuk3qXk4HaVsHluLlS4vdJXUtkvf5ud0#sthash.EIRl6yaw.fl4waer3.dpbs

قراءات أفريقية – 15-1-2019

لقد مرَّ الإعلام بشكل عامّ في القارة الإفريقيَّة بمراحل متعدِّدة، ولكنَّ الإعلام الاجتماعي بصفة خاصة كان مختلفًا في الانتشار؛ نظرًا لكون العالَم أصبح قرية كونية صغيرة بفعل العولمة؛ فيمكن للأفراد -عبر أنحاء العالم، ومن خلال وسائل الإعلام- التواصل فيما بينهم وتبادل الرسائل، ومشاركة المعرفة، والتفاعل مع بعضهم البعض، بغضِّ النظر عن المسافة التي تفصلهم.

وقد ظهرت قوة الإعلام الاجتماعي في العام 2011م؛ حيث ثورات الربيع العربي، والتي كانت سببًا من أسباب لفت الانتباه لتلك الوسائل المهمة؛ نظرًا لما لها من آثار على الرأي العام، وتغيير القرار السياسي في الدول، وأصبح رؤساء الدول لا يستهينون مطلقًا بهذه الوسيلة الخطيرة.

ويسعى هذا البحث إلى توضيح أن الإعلام الاجتماعي أصبح بمثابة الفلتر الذي ينقِّي من الشوائب في فضح الفساد والتزوير، سواء على مستوى الانتخابات التشريعية، أو الرئاسية في الدول، وإثارة الرأي العام، ليس فقط المحلي بل الدولي أيضًا.

كما يسعى البحث لتوضيح الإيجابيات والسلبيات لتلك الوسيلة الخطيرة، وهل إيجابياتها أكثر من سلبياتها أم العكس؟ ومدى تأثيرها على المجتمع بالإيجاب أو السلب خاصة المجتمع الأوغندي.

ويُلاحَظ أن غلق وسائل الإعلام الاجتماعي في أوغندا حدث أثناء انتخابات عام 2015م، وأن السبب غير المقنع أيضًا لفرض الضرائب على تلك الوسائل هي أنها تساعد على نشر الإشاعات والنميمة، ولكن الحقيقة أن ذلك يحدث لتكميم حرية المعارضين في التعبير.

وأخيرًا يسعى البحث لمعرفة هل سوف تنتهي تلك الوسائل بفعل التطور السريع أم أن هناك ما هو أخطر ينتظرنا.

أولًا: مراحل تطوُّر الإعلام الاجتماعي في القارة السمراء

1- تاريخ انتشار الإعلام في القارة السمراء

يعتبر الإعلام الإفريقي له وَضْع مختلف عن باقي قارات العالم؛ فلا يزال الإعلام تحت السيطرة الحكومية، فظاهرة الخصخصة ظاهرة جديدة في إفريقيا؛ نظرًا لعدم تشجيع الحكومات على ذلك؛ حيث تعتبرها تهديدًا لنفوذها ومكانتها، ولكننا نجد أن هناك بعض مظاهر التحسُّن النسبي، فرغم أن سكان القارة الإفريقية 636 مليون نسمة، يعيش 32% منهم في المدن، بينما يعيش في الريف الإفريقي 68% من سكان القارة، ونسبة الأمية في إفريقيا 80% ، منهم 18% من السكان يمتلكون الراديو، ويعتمد الغالبية العظمى من شعوب القارة على الراديو كوسيلة أولى للأخبار، وهناك 3.5% من سكان القارة يمتلكون التليفزيون و03% يمتلكون الكمبيوتر(1).

فهناك بعض العادات التي تنفرد بها القارة الإفريقية؛ كالقراءة الجماعية للصحف، والاستماع والمشاهدة للإعلام المسموع والمرئي، خصوصًا في الريف الإفريقي، فقد تركَّز الإعلام الإفريقي في العواصم والمدن الكبرى، مما يعني اقتصار الخدمات الإعلامية على سكان المدن، وحرمان الريف الإفريقي منها، كما أن السياسات الإعلامية في معظم الدول الإفريقية تركزت على الجوانب السياسية والدعائية للحُكَّام(2).

إلا أننا نجد أن بعض الدول يوجد فيها تميُّز في الإعلام الفضائي، ممثلة في مصر في الشمال، وجنوب إفريقيا في الجنوب؛ فالقناة الفضائية الإخبارية الموجودة في جنوب إفريقيا تقتصر على النُّخَب القادرة على اقتناء الفضائيات. فمنذ عام 1998م

بدأت بعض الدول الإفريقية في استقبال قنوات النايل سات أول قمر إفريقي يديره اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري يوفر الخدمات المعلوماتية في 27 دولة إفريقيــة أغلبهم في المنطقة الفرنكوفونية؛ حيث بدأ استخدام المينيتل قبل أن تصبح خدمات الإنترنت متاحة في القارة، والتي بدأت تنتشر في السنوات الأخــيرة؛ حيث أصــبحت معظم الدول الإفريقيــة متصــلة بشــبكة الإنــترنت ومعظمهــا يتم عن طريــق الأقمــار الصناعية(3).

وانتشر البريد الإلكتروني وتزايد عدد المشتركين فيه، خصوصًــا في الهيئــات العامــة، مثل المستشفيات والشرطة؛ حيث بلغ عدد مســتخدمي الإنــترنت 22 مليــون و870 ألف، منهم 13 مليون مستخدم في جنوب إفريقيا.

ولكن يتدنَّى معــدل الخدمــة التليفونيــة في دول الســاحل الــتي تضــم الــنيجر ومــالي والكونغو، بينما تــزداد الكثافــة التليفونيــة في كــل من الشــمال والجنــوب الإفــريقي، وتصبح أكثر تدنيًّا في غرب وشرق القارة؛ فقد قــامت 25 دولــة إفريقيــة بخصخصــة هيئة الاتصالات الســلكية الوطنيــة، من بينهــا ســاحل العــاج وغانــا والســنغال، وغينيــا وجنوب إفريقيا، وأوغندا، كما أقامت 20 دولة إفريقية نظامًا مستقلًا أو شبة مستقل في الاتصالات، وبدأت 15 دولة إفريقية، منها الكاميرون ومدغشــقر وتنزانيــا وملاوي في إجراءات الخصخصة لقطاع الاتصالات(4).

وهنا نجد أن ضــعف الأداء الإعلامي، وغيــاب البنيــة التحتيــة للاتصــالات والمعلومــات، وعدم وجود كوادر بشرية مؤهَّلة ولا قُدُرَات تمويلية، في معظم أنحاء القارة، ما عدا المدن والعواصم الكبرى قد حالَ دون الاستفادة من الثــورة التكنولوجيــة في مجــال الاتصال والمعلومات، مما أدَّى إلى اتســاع الفجــوة بين إفريقيــا وســائر القــارات من ناحية، وداخل القارة من ناحية أخرى.

ليس ذلك فحسب، بل تُرِكَتْ الساحة الإفريقية أمام شبكات الاتصــال الدوليــة، مثــل سي إن إن، وال بي بي سي، والشــبكة الفرنســية، وأصــبح الإعلام الإفــريقي يعتمــد على المصادر الغربية التي تشمل الفضائيات وشــبكات المعلومــات، مثــل الإنــترنت، كما أدَّت القفزة المفاجئة في استخدام شبكات المعلومات واقتنــاء الهوائيــات؛ ممــا أدَّى إلى حدوث خلل، وعدم توازن في الممارسات الإعلامية في إفريقيا(5).

وقد مرَّ الإعلام الاجتماعي بمراحل تطوُّر عدة حتى يومنا هذا:

فقبل السبعينيات بدأت وسائل التواصل الاجتماعي مــع بــدء ظهــور الهــاتف منــذ عام 1950م، حيث ظهرت مجموعة (Phone Phreak)، ولكن بسبب ارتفاع تكلفة

إجراء المكالمة الهاتفية، قاموا باختراق خطوط الهاتف لإجراء وعقد المجموعة الافتراضية(6).

وخلال فترة السبعينيات والثمانينيات ظهر شكل جديد من وسائل التواصل الاجتماعي في السبعينيات، وأطلق عليه (BBS) أو "نظام لوحة الإعلانات" (بالإنجليزية: Bulletin Board System)، ومنذ بداية ظهورها كانت عبارة عن خوادم صغيرة تعمل بالطاقة عبر جهاز حاسوب شخصي متصل بمودم هاتف، واعتُبِرَ عملها شبيهًا بعمل المدوّنات والمنتديات حاليًا؛ حيث تمكَّن المستخدمون من المشاركة في المناقشات، والألعاب عبر الإنترنت، وتحميل الملفات وتنزيلها، وبما أن الحاسوب كان حجمه كبيرًا ومكلفًا وبطيئًا وغير فعَّال، فأدى ذلك إلى التقليل من عدد المستخدمين الذين شاركوا في هذا النظام(7).

وفي أوائل السبعينيات ظهرت برامج البريد الإلكتروني والدردشة، بينما لم تظهر أيّ برامج غيرها، وتم إنشاء نظام اليوزنت "نظام المستخدمين" (بالإنجليزية: Usenet) عام 1979م، وهو نظامٌ استُخْدِمَ للمراسلة بين جامعتي ديوك ونورث كارولينا، ومن ثَمَّ تَمَّ استخدامها مِن قِبَل الجامعات والوكالات الحكومية الأخرى، وقد سَمَحَ موقع اليوزنت للمستخدمين بنشر وتلقِّي الرسائل داخل مجموعات أطلق عليها اسم "مجموعة الأخبار" (News Group)، وقد نمت هذه المجموعات خلال فترة الثمانينيات، ولم تكن هناك أيّ اتفاقية معيارية لتسمية هذه المجموعات، مما سبَّب ارتباكًا؛ بسبب ارتفاع عددها، وفي عام 1987م نفَّذ العديد من مطوِّري اليوزنت تغييرات في هذه المجموعات لتحويلها إلى تسلسلات هرمية واسعة لتشمل الأخبار، والأحاديث، والمنوعات المختلفة(8).

وفي فترة التسعينيات أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي أكثر انتشارًا، وتزامن ذلك مع ظهور شبكة الإنترنت العالمية، وانتشارها بين الجماهير، ومن أول المواقع التي شهدت انخراطًا في الثقافات المنتشرة: موقع (CompuServe) وموقع (Prodigy)، ولكن هذه المواقع كانت بطيئة ومكلِّفة، ومن ثَمَّ مع انتشار الإنترنت وتوافر الخدمات الإلكترونيَّة بدأ انتشار أنظمة الدردشة بين المستخدمين مثل نظام (AOL)، وبعدها ظهر موقع (Napster) الذي ساهم في تسهيل تبادل المعلومات والموسيقى المجانية عبر الإنترنت، وأصبح هذا الموقع المصدر الرئيسي لتوزيع وسائل الإعلام(9).

وبعد إطلاق متصفِّح "موزايك ويب" في العام 1993م، تم دمج نظام هذا المتصفح مع واجهة جرافيكية تُسَهِّل الاستخدام بشكل كبير؛ وساعدت بنية شبكة الويب

العالمية في التنقل من موقع إلى آخر بنقرة واحدة؛ وكذا ساهمت السـرعة الكبـيرة للإنترنت على الوصول إلى محتوى الوسائط المتعددة(10).

وتم تأسيس أول الشبكات الاجتماعية التي تعتمد على تقنية الويب، وهي "موقـع كلا سميث"، وموقع "سيكس دجريز"؛ حيث أقامت شـركة "كلا سـميث" منـذ تأسيسـها عام 1995م حملة إعلانيـة لجـذب متصـفحي الـويب إلى مواقعهـا، واسـتند مفهـوم شبكتها على العلاقة القائمة مـا بين أعضـاء المدرسـة الثانويـة وخـريجي الجامعـات وأماكن العمل، وفروع القوات المسلحة، بينما أنشأت شركة "سيكس ديجريـز" أول موقع تواصـل اجتمـاعي حقيقي عـام 1997م؛ حيث شـمل هـذا الموقـع العديـد من المـيزات مثـل تمكين الأعضـاء من إنشـاء ملـف تعريـف شخصـي، وإنشـاء قائمـة الأصـدقاء، والاتصـال بهم من خلال الرسـائل، وتمكَّن هـذا الموقـع من جَـذْب ثلاثـة ملايين بحلـول عـام 2000م ولكنَّ الإيـرادات لم تكن عاليـة، ممـا أدَّى إلى انهيـاره(11).

أمـــا في بدايـــة القـــرن الواحـــد والعشـــرين فقـــد تم إنشـــاء موقـــع فريندستر Friendster عـام 2002م، وهـدُف هـذا الموقـع للتنـافس على خـدمات المواعدة الشهيرة القائمة على رسوم الاشتراك، مثل موقع ماتتش.

وتم إنشـاء موقـع (My Space) في عـام 2003م، وركَّز هـذا الموقـع على الفئـة الشابَّة، وأصبح مكانًا للتواصل بين فناني الروك والمعجبين، وامتلك هذا الموقع بنيـة داعمة لها لمساعدته على النمو، مما سـاعَد على انضـمام ملايين المتصـفحين إليـه، ولكن في عام 2005م، قامت شركة نيوزكوربشن بشـراء الموقـع، وبسـبب انتشـار هذا الموقع بدأت السلطات القانونية بالتدقيق إزاء التفـاعلات غـير السـليمة مـا بين البالغين والقاصرين(12).

ثم تم إطلاق موقع فيسبوك الذي استولى على صيغة عمل موقع كلاسميث، واعتـبر موقع فيسـبوك منـذ إطلاقـه عـام 2004م شـبكة مفتوحـة لجميـع طلاب الجامعـات والمدارس الثانوية بديلًا عن موقع (My Space) مع ملايين المستخدمين(13).

وفي النهاية كان لا بد من معرفة ماهية الإعلام الاجتماعي؛ فهـو مصـطلح يشـير إلى استخدام تكنولوجيـا الإنـترنت والتقنيـات المتنقلـة (الهـاتف) لتحويـل الاتصـالات إلى حوار تفاعلي. وعرف أندرياس كابلان ومايكل هاثلين وسائل الإعلام الاجتماعي بأنهـا "مجموعة من تطبيقات الإنترنت التي تُبنَى على أُسُـس أيديولوجيـة وتكنولوجيـة من الويب، والتي تَسْمَح بإنشاء وتبادل المحتوى الذي ينشئها المستخدمون، ويسـتخدمها الناس للتواصل والتفاعل مع بعضهم البعض، وقد تطـور مصـطلح "مواقـع التواصـل

الاجتماعي" ليُحْدِثَ ضجَّة كبيرة، ويشمل كل أدوات التواصل الإلكتروني الموجودة خلال القرن الحادي والعشرين؛ فنجد أن هناك بعض الأشخاص استخدموا عبارة وسائل الإعلام الاجتماعي؛ حيث إنها تَصِف جميع أنواع الظواهر الثقافية، وليس تقنيات التواصل فحسب(14).

ففي كثير من الأحيان يستخدم الأشخاص كلمة "وسائل الإعلام الاجتماعي لوصف الـ (user) generated content، أو المحتوى المقدَّم مِن قِبَل المستخدمين، وهو المحتوى الذي يقوم المستخدمون بكتابته ونشره ومشاركته باستخدام أدوات النشر الإلكتروني؛ من خلال استخدام أجهزة الكمبيوتر، والهواتف الذكية، والإنترنت، والشبكات الاجتماعية، مثل فيسبوك وتويتر، وهي إحدى وسائل الإعلام الاجتماعي(15).

ولا يصعب تحديد ماهية مواقع التواصل الاجتماعي؛ لما لها من استخدام واسع، فهي المحتوى الذي يتم إنشاؤه باستخدام أدوات مواقع التواصل الاجتماعي، لا سيما "المحتوى الذي يقدمه المستخدم"، والذي يتم إنشاؤه بواسطة الأفراد على المواقع الإلكترونية التي تُشجِّع على إنشاء وتبادل المحتوى. ويتراوح المحتوى ما بين رسائل نصية إلى صور يتم تبادلها، ومقاطع فيديو تحظى بمشاهدات عديدة.

2- **أهمية الإعلام الاجتماعي في القارة السمراء، وهل يساهم في التمكين للديمقراطية؟**

أصبحت تكنولوجيا المعلومات والتواصل اليوم مقياسًا لتقدُّم الدول، ومصدرًا للتنمية، ورافعة اقتصادية كبيرة، وقد أدرك كثير من الدول الإفريقية هذه الحقيقة، لذا تتناوب الشركات العالمية على إفريقيا من أجل الاستثمار في هذا القطاع، فهي القوة الدافعة التي يمكن أن تُعزِّز بشكل كبير من النمو الاجتماعي والاقتصادي في القارة الإفريقية.

ففي الوقت الحاضر، أصبحت تكنولوجيا المعلومات والتواصل، حتى في الدول النامية، ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانية، فهي بمثابة الغذاء على مستوى المؤسسات أو الأفراد.

ولذا تزداد أعداد مستخدمي تكنولوجيا المعلومات عامًا بعد عام، وتشير الإحصاءات إلى أن استخدام الإنترنت ما يزال ينمو باطراد بنسبة 6.6% على مستوى العالم في عام 2014م، بينما يُمثِّل النمو في الدول المتقدمة نسبة 3.3%، وتوجد النسبة الأعلى في الدول النامية 7.8%، ورغم هذه الإحصاءات إلا أن هناك 4.3 مليار شخص لم يستخدموا الإنترنت قط في حياتهم، معظمهم في الدول النامية(16).

وتحتل إفريقيا المرتبة الثانية من حيث استخدام تلـك الوسـائل في الـوقت الـراهن، وبفعل الانفجار المعرفي والثورة التكنولوجية أصبح الشباب في إفريقيـا يتـابع كافـة المتغيرات السياسية والاجتماعية، وذلك عبر الوسـائل المعلوماتيـة المعاصـرة الـتي أصبح من الصعوبة بمكان السيطرة عليها والتحكم بها من طرف الأنظمة السياسـية القائمة.

إن الإعلام الاجتماعي بالنسبة لإفريقيا أصبح يُمثِّل بشارات يجب التنويـه بهـا، ولكنـه في الـوقت نفسـه يُمثِّل تحـديًا كبـيرًا بالنسـبة لهـا في إيجـاد أرضـية مناسـبة تلبِّي احتياجات الشباب من حيث التربية والصحة والعمل.

ففي السابق تخلفت إفريقيا في الثـورة الصـناعية، أمـا الآن فيجب ألا تتخلـف أيضًـا عن الثورة المعلوماتية والتكنولوجية لتكون في مصافّ الدول القوية؛ حيث أصــبحت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (TIC) تُمثِّل دورًا مهمًّا ومتزايدًا في زيادة الإنتاجية من خلال الاقتصاد الـرقمي، وتحسـين الخـدمات العامـة والخاصـة، وتنفيـذ الأهـداف الاجتماعيــة والاقتصــادية العامــة، في مجــال التعليم والصـحة، والعمــل، والتنميــة الاجتماعية، وتعزيز القدرة على المنافسة، وتحويل الفرص لدعم النمـو في مختلـف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية(17).

فهـذه الوسـيلة خلقت نوعًـا من الابتكـار والإبـداع؛ فهـا نحن نـرى أفكـارًا من خلال الشباب المتطـوِّع لتوحيـد القـارة الإفريقيـة، والاسـتفادة من الإعلام الاجتمـاعي في نشر ثقافات القارة السمراء، وتداول وعرض الأفكـار والتسـوُّق عـبر هـذه المواقـع، وإنشاء موقع للتوعية بحقـوق الشـباب في قـارة إفريقيـا، وتعريـف الشـباب بكيفيـة المحافظة على حقوقهم، وذلـك من خلال مواقـع على الإنـترنت لهـا حسـابات أيضًـا على مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى مثل: انستجرام، فيسبوك، توتير.

كما تم اقتراح عمل مشروع عبارة عن قنـاة إخباريـة تضـم مجموعـة من المجـالات (أخبار سياسـية، رياضـية، ثقافيـة، حضـارية، أفلام تكنولوجيـة)، بالإضـافة إلى وجـود موقـع إلكـتروني وصـفحة على الإعلام الاجتمـاعي يمكن من خلالهـا تقـديم خدمــة التسويق الإلكتروني بين الدول الإفريقية، الأمر الذي يؤدي إلى التحـرُّر من سـيطرة الغـرب، وتفعيـل التعـاون المشـترك والـدائم بين الـدول الإفريقيـة كافـة، والاكتفـاء الذاتي داخل حدود القارة(18).

ويمكن عن طريــق "الإعلام الاجتمــاعي" الاســتفادة من إقامــة مشــروعات خاصــة بالشـباب، وتشـجيعهم على الخـروج من بوتقـة النظـام الحكـومي، والانطلاق نحـو السوق المفتوح بعمل موقـع أشـبه بسـوبر مـاركت أون لاين على شـبكة الإنـترنت،

يستهدف تلقِّي الطلبات على المنتجات الإفريقيـة المعروضـة على الموقـع، وتوحيـد طريقة الدفع من خلال عملة موحدة، هـذا بالإضـافة إلى نشـر المنتجـات الإفريقيـة، وإتاحتها على مستوى جميع الدول الإفريقية(19).

كما كان من ضمن تلك الأفكار موقع وموبايل أبلكيشن الذي يعمل كحلقة وصـل بين العمالة الفنية والعملاء من أجل توفير وقت العميل في عملية البحث عن عامل فنِّي ماهر في مختلـف المجـالات، يتضـمن الموقـع قيـام مجموعـة من المتخصصـين في مختلـف المجـالات بوضـع بيانـاتهم الشخصـية، ومهـاراتهم وخـبراتهم، وإمكانيـاتهم وتخصصاتهم، والمبالغ التي يتقاضونها نظير أداء هـذه الأعمـال، فهي وسـيلة لتوفـير الوقت، وكذلك حصـول تلـك العمالـة على وظـائف من خلال تلـك المواقـع بطريقـة سهلة دون وجودها تحت قيادة شركات بمعنى "عمل حر".

ليس ذلـك فحسـب، فقـد سـمحت تلـك الوسـائل بالمشـاركة الشـبابية في الحيـاة السياسية والاجتماعية بعد ما كانوا بعيدين كل البعد عن هذه الحياة، كما أنهـا خلقت نوعًا من تكوين الرأي، ووجود ثقافة وإن كانت ثقافة افتراضية، لكنها اسـتطاعت أن تجعل الشباب مُلِمًّا ببعض الأخبار حول العالم، فيما يعتبر نوعًا من الانفتـاح الثقـافي على العالم الآخر، وترك العالم المنغلق الذي كانوا يعيشون فيه في السابق.

ومن خلال ذلك الإعلام الجديد، كثرت صـور تبـادل الآراء؛ فقـد كـانت هـذه المواقـع مصـدرًا للإلهـام والابتكـار والإبـداع من بعض الشـباب مـع وجـود الشـفافية، وتمت المشـاركة في العمليـة الانتخابيـة، والحـد من الـتزوير، واسـتطاعت هـذه الوسـيلة الإعلاميـة الجديـدة فـك الحصـار عن الشـباب في إفريقيـا للمشـاركة في العمليـة السياسـية، وقـد أدَّى ذلـك إلى دعم الـدول الإفريقيـة للحريـات وتحقيـق العدالـة الاجتماعية والديمقراطية؛ لعلمهـا أن هـذا هـو الخيـار الوحيـد أمامهـا لتحقيـق الأمن والاستقرار السياسي(20).

كما أنها تُتيح للشعوب آليَّات مهمة لممارسة حقوقها السياسـية، والـتي هي من أهم آليَّاتها: التخاطب والحوار والتعبير عن الـرأي، والتصـويت في الانتخابـات التشـريعية والاستفتاءات، واستطلاع الرأي العام، والتنظيم السياسي الميداني.

فأصبحت مواقـع التواصـل الاجتمـاعي هي الظـاهرة المعلوماتيـة الأبـرز في عالمنـا التكنولوجي؛ لكونها تستقطب شريحةً كبيرةً من شرائح المجتمـع، وبخاصـة شـريحة الشـباب، بوصـفهم الفئـات الأكـثر تـأثيرًا بمـا يمثلونـه من طاقـةٍ وقابليـةٍ لتغيـير أيِّ ظاهرة، وقد خلصت دراسة حول «فيس بـوك أفريـك»، إلى أنّ عـدد المسـتخدمين في جنوب إفريقيا ونيجيريا وكينيا يُمَثِّل ربع مجموع المستخدمين الأفارقة. وأشــارت

الدراسة كذلك إلى أنَّ عدد المستخدمين للفيس بـوك في إفريقيـا جنـوب الصـحراء نما بنسبة 20% ما بين عامي 2014م و2015م(21).
وهنا نحن نرى بعض المواقع التي تم تدشـينها مِن قِبَـل الشـباب الإفـريقي؛ فهـا هـو موقـع اشـهاهيدي Ushahidi ابتكـره الشـاب أوري أوكولـو Ory Okolloh، وهـو مُصـمَّم بـاللغتين الإنجليزيـة والسـواحلية، وقـد أدَّى هـذا الموقـع دورًا كبـيرًا خلال انتخابـات 2008م بكينيـا؛ حيث سـمح لآلاف الكينـيين بالتواصـل من أجـل الحـدِّ من عملية التزوير التي كانت مَعْلَمًا لتلك الانتخابات.
وبعد الأهمية التي اكتسبتها مواقع التواصل الاجتماعي في المشاركة الإفريقية؛ فقــد أنشأ الفيس بوك نُسَخًا باللغـات السـواحلية والهوسـاوية ولغـة زولـو، ودشَّـن موقـع جوجــل كــذلك –منــذ أكتــوبر 2010م- خدمــةً أســماها: بــارازا Baraza، وتعــني بالسواحلية: «موقع التواصل»، وتهدف هذه الخدمة إلى تبادل الآراء، وطـرح أسـئلة تمسُّ الشأن المحليّ والإجابة عنها.
وقـد سـاهم هـذا الانفجـار لمواقـع التواصـل الاجتمـاعي في إتاحـة الفرصـة لجميـع الشباب في إفريقيا-سياسيين أو بـاحثين أو أكـاديميين- لعـرض أفكـارهم، ومناقشـة قضاياهم السياسية والاجتماعية؛ متجاوزين الحدود الماديـة والطبيعيـة إلى فضـاءاتٍ جديدةٍ لا حدود لها.
ليس ذلك فحسب؛ فقد ساعدت تلك الوسيلة كثـيرًا من دول إفريقيـا في التعلُّم عن بُعْد، وأصبح الإعلام الاجتماعي بمثابة مُعَلِّم خاصّ، فتم عمل مشـروع كيلاسـي، وهـو تطبيق رقمي في خدمة التعليم، يضـمن العناصـر الأساسـية للنجـاح الدراسـي، كمـا ساعد المعلِّمين في إعداد الدروس والتمارين التدريبية، وتوزيعها على طلابهم، وبهذا يســتطيع الطلاب مواصــلة تعليمهم بــالمنزل من خلال التعلُّم عن بُعــد، والســماح للطلاب غير القادرين بتكملة تعليمهم، فأصـبح لا حاجـة لإملاء الـدروس على الطلبـة في الفصول الدراسية(22).
وهـذه التجربـة تم تطبيقهـا في كينيـا، وتم الاسـتفادة منهـا بالفعـل في كينيـا عـام 2010م بعد عمل إحصـائية عن حجم التسـرُّب من المـدارس، ليس فقـط مِن قِبَـل الـذكور، ولكن أيضًـا الفتيـات اللـواتي يتم حرمـانهن من التعليم ويـتزوجن في سـنّ مبكرة؛ فقد كان سبب ذلك بُعْد المدارس عن محل إقامـة الفتيـات، كمـا أن التعليم النظامي مكلِّف ماديًّا لذويهن، فكان لتلك الوسيلة الفضل في إكمال هذه الفئة غــير القادرة على مواصلة تعليمهم بشكل غير مكلِّف.

وبعد انتشار الهاتف المحمول وبفضل التكنولوجيا أصبح هناك تعليم عن بُعْـد، فيمكن سؤال المـدرس والحصـول على الإجابـة من خلال تلـك الوسـيلة الـتي سـميت، وتم وصفها بالمُعلِّم الخاص الافتراضي بحسب ما تضمنه تقرير موقع "بي بي سي"؛ فقد تم عمل موقع "إنزا إديوكشن" والذي انتشر اللغة السواحلية يخدم قضـايا المعرفـة ومجالات التعليم والتكنولوجيا، والغرض منه نشر التعليم عبر الوسـائل التكنولوجيـة؛ فقد وصل عدد مستخدمي "إنزا" إلى نحو خمسـمائة ألـف مسـتخدم، يعتمـدون كليًّا على الرسـائل النصـية القصـيرة للحصـول على المحتـوى التعليمي مقابـل اشـتراك أسـبوعي يبلـغ عشـرة شـلنات كينيـة، أي: مـا يعـادل 0.15 من الـدولار يُخْصَـم من اشتراك الهاتف المدفوع مسبقًا(23).

فلقد ساعدت تلك الوسيلة بشكل كبير في توفير التعليم عن بُعد، ومحاولـة محاربـة الأمية بشكل من أشكال التكنولوجيا ليس ذلك فحسب، بل إننا نجد أن تلك الوسيلة ساهمت بشـكل كبـير في التمكين والانتقـال إلى الديمقراطيـة، ولكن قبـل أن نركِّز الضوء على القارة الإفريقية نوضِّح مدى خطورة تلـك الوسـيلة؛ فتأثيرهـا كبـير على دول العالم في شتى المجالات.

وهذا ما خلصت إليه الكثير من الآراء والدراسات سـواء مـا تعلـق منهـا بالـدول ذات التاريخ العريق في الممارسة الديمقراطية، أو ما تعلق منها بالدول التي تمر بمرحلة انتقالية إلى الديمقراطية.

وسوف نعرض حالتين لتأثير تلك الوسيلة الخطيرة على العالم أجمع:

الحالة الأمريكية في الجانب الأول، وحالة دول الربيع العربي في الجانب الثاني.

بالنسبة للحالة الأمريكية، فقـد أجمـع العديـد من الخـبراء أن الحملـة الرئاسـية الأمريكية بين دونالد ترامب وهيلاري كلينتون لا تشبه أيّ حملـة قبلهـا؛ فقـد شـهدت اتهامات عنصرية ومهينة للنساء ومعادية للأجانب، وعرفت زوال الحـدود بين مـا هـو خـاصّ ومـا هـو عـامّ، وسـيطر فيهـا بشـكل كبـير تـرامب على وسـائل التواصـل الاجتماعي، واكتسبت تغريداته المثرة للجدل شهرةً واسعةً.

فالإعلام الاجتماعي له يد بالفعـل تهـدِّد الديموقراطيـة وتتحكم فيهـا، فهـا نحن نـرى كيف تحكمت روسيا عن طريقـه في الانتخابـات الرئاسـية الأمريكيـة عـام 2016م، فقد استهدفت تقريبا 126 مليون أمريكي، أي: 40% من سكان أمريكـا، ولا بـد من ذكر أيضًا الاتهامات التي وجَّهتها روسيا للغرب باستعمال مواقع التواصل الاجتمـاعي لإثارة نزعات الانفصال بكل من أوكرانيا وجورجيا؛ فقد أصبح العالم الافتراضي يمثل

ساحة حرب أخرى بين القـوى الدوليـة بهـدف التـأثير على الـرأي العـام بطريقـة أو بأخرى، بل والتحكم أيضًا في المسار الديموقراطي الدولي(24).

أما بالنسبة لحالة دول الـبيع العـربي؛ فقـد أكـدت عـدة دراسـات أن مواقـع التواصــل الاجتمــاعي لعبت دورًا كبــيرًا في تقــويض التحــول الــديموقراطي فيهــا، وساهمت هذه الوسائل في استقطابات سياسية عنيفة، ونشر الخوف والعـداوة بين المجموعات ذات الانتماء السياسـي المختلـف، وتعزيـز الانقسـام بينهـا، وهنـا نخصُّ بالذكر الحالة المصرية بعد عزل الرئيس الأسبق حسني مبارك.

فلا نســتطيع أن نجــزم بــأنَّ الإعلام الاجتمـــاعي هـــو أداة مـــؤثرة في التحكم بالديمقراطية من خلال تسريع وتكثيف نزعات خطيرة ونشر الاسـتقطاب والخـوف؛ فهي تؤثر على الاستقطاب الاجتماعي والسياسي لجعله أكثر تدهورًا بسـبب قـدرتها على نشر صور عنيفة وشائعات مخيفة بسرعة فائقة وبكثافة عبر مجموعـة منغلقـة نسبيًّا لأفراد ذوي تفكير متماثل(25).

ثانيًا: دوافع اسـتخدام الإعلام الاجتمـاعي ومـدى تـأثيره على المجتمـع سواء بالإيجاب أو السلب:

1- نشر الأخبار بطريقة سريعة

لا شك أن مواقع التواصل الاجتماعي هي من أكثر الوسائل سرعةً في نقـل الأخبـار وتداولها، واتساع مساحات نشرها عبر الفضاء الإلكتروني، وهذا جـانبٌ إيجـابيّ جـدًّا لها يجب الحفاظ عليه وتنميته وتشجيعه، في سبيل حقّ الجميع في سرعة الحصـول على المعلومة والمعرفة في أيّ وقت، وأينمـا كـان(26) ؛ فأصـبحت وسـائل الإعلام الاجتمـاعي هي إحـدى إفـرازات التقـدُّم التكنولـوجي السـريع الـذي شـهده عالمنـا مؤخرًا، فهو مقصد الكثيرين في الحصول على الأخبار والمعلومـات، سـواء المحليـة منها أو العالمية، ولم يقتصر الأمر على هذا الحدّ، بل تعدَّى ذلك إلى اعتماد الصـحف التقليدية، والمواقع الإخبارية، والفضائيات على تلك الوسيلة أيضًا(27).

لكنَّ السؤال المهم: هل يمكن أن تتحوَّل وسائل التواصل الاجتماعي، أو هل تحـولت بالفعل إلى إعلام بديل موثـوق لصـناعة الأخبـار أو المعلومـات؟ أم سـتبقى وسـائل الإعلام بكافَّة أشكالها صاحبة السيادة كمصدر ذي مصداقية أعلى للمعلومـة والخـبر والصورة الثابتـة والمرئيـة لا مجـال لمنافسـتها لإمـداد الجمهـور بالأخبـار والأحـداث والصور، بل وأيضًا إمداد وسائل التواصل الاجتماعي وتغذيتها، وليس العكس؟(28)

وهناك دراسة أمريكية حول مواقع التواصل الاجتماعي، وكيف أصبحت أكثر انتشـارًا وتصفحًا من الجرائد والصحف الرسمية. ويقرِّر أحد الباحثين أنـه إنْ كـان البحث عن المعلومات هو الإنجاز الأهم في العقد الفائت؛ فـإن مشـاركة المعلومـات قـد تكـون أحد أهم الإنجازات في العقد المقبل"؛ كما أفادت الدراسـة أن موقـع CNN سـجل زيـادة عـدد زوار ومتصـفحي وسـائل الإعلام الاجتمـاعي بنسـبة 18%، ويليـه موقـع فوكس نيوز بنسبة 16%؛ حيث إن تلك الوسائل تردّ على أسئلة المتصفحين بشـكل سريع(29).

وأيضًا هناك دراسة نشرتها مؤسسة "ديجيتال بوليسي كونسل" تبيِّن ما تتميز به تلك الوسيلة في سرعة النقـل والانتشـار السـريع للأخبـار فتقـول الدراسـة بـأن "123" رئيس دولة أو حكومة بـاتوا يسـتخدمون مـوقعي "تويـتر" و"فيسـبوك" بانتظـام في نهاية عام 2013م بارتفاع كبير بنسـبة 78% مقارنـة بـالأعوام السـابقة، وإن معظم هؤلاء يبثون رسائل سياسية وأخبارًا عبر حساباتهم.

ونرى كذلك أن المواطنين يتَّجهون إلى مواقع الإعلام الاجتماعي كـالفيس بـوك لكي يحصلوا على الأخبار أو متابعتها بشكل عام، فأصبحت هي مصدر الأخبـار لـديهم عن متابعة التلفاز؛ حيث إنها الأسرع والأسهل في نشر الأخبار قبـل الوسـائل التقليديـة، وفي اعتقادي أن هذه الوسائل من الممكن الاستغناء عنهـا إلا في مناسـبات معينـة، خاصة أن تلـك الوسـيلة "الفيسـبوك" متـوافرة لـدى الغالبيـة العظمى في أي وقت عكس الوسائل التقليدية من خلال جهاز محمول أو لاب توب، أو حتى جهاز كمـبيوتر في العمـل؛ فتلـك الوسـيلة متاحـة في كافـة الأوقـات، ولـذلك يقـرر المواطنـون اسـتخدام وسـائل الإعلام الاجتمـاعي كمصـدر رئيسـيّ للحصـول على المعلومـة أو الخبر؛ وذلك لسرعتها في التغطية أو النقل(30).

لكننا نجد آراء لبعض الأشخاص الذين يتابعون الأخبار التي تنشر عـبر وسـائل الإعلام الاجتمـاعي، لكنهم يتابعونهـا بحـذر؛ حيث إنـه ليسـت كـل الأخبـار صـحيحة، بسـبب مواقف عدة، لذا لا بـد أن يتم النظـر في مصـدر الخـبر أو الجهـة الـتي نشـرته على صفحتها.

فالسـبب الرئيسـي في عـدم وثـوق البعض في الأخبـار المتداولـة عـبر صـفحات "الفيسـبوك" أنـه لا توجـد قـوانين ضـابطة لتنظيم النشـر، فيتم نشـر الأخبـار أو المعلومات على صفحات بعض الأشخاص دون التأكد من مصداقيتها؛ مما قد يصـيب ويبثّ الهلع في المجتمع، خاصة لو كان الخبر يخصُّ الدولـة أو المواطـنين في لقمـة عيشهم و"قوت يومهم".

ونخلص في النهاية إلى أنه رغم الكمّ الهائل من المعلومات والأخبار التي يتم تبادلها عبر مواقع التواصل الاجتماعي "الإعلام البديل"؛ إلا أنها تفتقر أحيانًا إلى المهنية والموضوعية والشفافية التي تُعتبر أساس العمل الصحفي المهني، وتظل الوسائل التقليدية متربعة على عرش الحصول على المعلومة من وجهة نظر البعض؛ نظرًا لأنها مصدر موثوق فيه يخلو من الإشاعات التي يتم تداولها عبر مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي التي تنقلها البعض، مما يسبب البلبلة والتضليل للجمهور كما أنها يمكن الرجوع إليها وقت ما تريد، لكن ما يُنْشَر عبر وسائل التواصل الاجتماعي قد يتحكم فيه بعض الأحيان شخصٌ واحد، يمكنه محو ما تم نشره في أي لحظة، حيث لا أرشيف لتلك الوسيلة حتى يومنا هذا(31).

ولكني لست مع هذا الرأي؛ فبعض المحطات قد تذكر خبرًا ثم تُكذِّبه فقط لمجرد السبق الصحفي؛ حتى تصبح أول مَن ينشر أو يذيع الخبر، ولكن هذا يعتبر خطأ أيضًا؛ فقد يفقد المواطنون أيضًا الثقة بمرور الوقت في تلك الوسيلة التقليدية.

2- فوائد وأضرار استخدام الإعلام الاجتماعي على المجتمع

يتَّصف عصر التواصل الاجتماعي التقني الذي يعيشه العالم حاليًا بانتشار "الشعور بالذاتية"، وقدرة الفرد على التأثير في عالم مفتوح؛ من خلال وسائل تُعتبر منخفضة التكاليف وواسعة الانتشار، كما تتسم بالتنوع اللامتناهي في الرسائل الإعلامية والمحتوى الإعلامي، فهي تشجِّع الروابط العابرة للحدود، فالفرد على اتصال بالعالم الخارجي دون أن ينتقل من مكانه، وعندما تختفي المسافة يصبح للأفكار ضجَّة؛ حيث يسهل مشاركة الآخرين في الأفكار، فبعدما كان المجتمع والعالم بعيدين كلّ البعد عن بعضهم أصبح بفعل تلك الوسيلة قرية كونية صغيرة، يستطيع من خلالها تبادل المعلومات بكل سهولة، رغم اختلاف الثقافات؛ فقد ساعد الإعلام الاجتماعي في تثقيف أفراد المجتمع، ونقل الأخبار، وتبادل الأفكار والمعلومات، ومحو الأمية السياسية، بل وتكوين وتوجيه الرأي العام؛ الأمر الذي ينعكس على السلوك الفردي والجماعي(32).

كما أن الفضاء الإلكتروني يزيد من فُرَص الإبداع والابتكار، سواء في النواحي الإيجابية أو السلبية، ويدفع الفرد إلى بناء منظومة التفاعلية بلا حدود زمنية ومكانية، ومن ثَمَّ ينتقل عبر الزمان والمكان دون مغادرة محل إقامته وكأنه (رحَّالة افتراضي)، يُبْحِر في مختلف الاتجاهات والثقافات، ويُرَى على بُعْد مسافات تربو على ملايين الكيلومترات.

وقد برزت سمات وخصائص ومميزات لعصر التواصل الاجتماعي التقني بمختلف وسائله، التي أسهمت بشكل مباشر وغير مباشر في إحداث تغييرات بنيوية أفقيًّا ورأسيًّا في مجالات عدة(33).
فنجد ازدياد الوعي السياسي بين المواطنين بصورة غير مسبوقة؛ حيث إن التواصل بين مستخدمي المواقع يوفِّر الفرص للنقاش، ويتيح مزيدًا من الفهم للقضايا والموضوعات السياسية المثارة، وخاصة في ظل وجود خبرات متنوعة بين مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي من مثقفين وسياسيين وأكاديميين وأناس عاديين(34).
كما أن وسائل التواصل الاجتماعي أصبح لها أثر واضح في تشجيع المواطنين على المشاركة السياسية؛ حيث تُوفِّر هذه الوسائل الفرصة لمزيد من الفهم لحقوق المواطنة، وتُعمِّق إدراك المواطنين لقضاياهم.
كما زادت من قوَّة المجتمع المدني؛ حيث اتَّخذ من وسائل التواصل الاجتماعي منصة للانتشار وممارسة دوره العابر للقيود المحلية التي تضعها بعض الحكومات والسلطات على أنشطة هذه المؤسسات داخل الدول، فساعد على ارتباط الشباب بهذه المؤسسات، ورغبتهم في بناء علاقات معها للدفاع عن قضاياهم وتبنِّي وجهات نظرهم(35).
كما ساعد الإعلام الاجتماعي على رفع مستوى الوعي القانوني وتحسينه وتطوير أساليبه، مما زاد من الثقة بسيادة القانون ودعوة الناس إلى التقيد بالقانون والاحتماء به، بل أيضًا معالجة الاعتداء على تلك الحقوق.
ولا يخفى أيضًا أنه كما للإعلام الاجتماعي إيجابيات على المجتمع، فله أيضًا سلبياته وأضراره الصحية التي تصل إلى حدّ الانتحار فهو سلاح ذو حدين.
وهناك توقعات بأنه كلما تزايد استخدام وسائل الإعلام الاجتماعي أدَّى ذلك إلى التأثير على حياة الأفراد، خاصة المراهقين(36) ؛ حيث إنها ظاهرة غير فردية تتأثر بالعوامل الاجتماعية والبيئية؛ فهي تؤدِّي إلى خلق نوع من التوحُّد والاكتئاب، بل في بعض الأحيان -وبناء على بعض الدراسات- قد تؤدي إلى الانتحار، وهي ظاهرة جديدة نسبيًّا وفقًا لمنظمة الصحة العالمية؛ حيث تشير الدراسة إلى أنه في عام 2020 ربما يموت حوالي 1.53 مليون شخص(37).
وها هو "فيني برنس" والذي يُعتقد أنه انتحر بسبب التسلط عبر الشبكة العنكبوتية. فقد خلصت دراسة جديدة إلى توضيح مدى الارتباط بين "الإعلام الاجتماعي" والاكتئاب وأثره على صحة الجسم، العقل، الصحة النفسية؛ حيث إن الاستخدام

المُفْرِط لها قد يضع الشخص تحت ضغط وتوتر زائد ليصبح بذلك أكثر عرضة للإصابة بنوبات الاكتئاب والقلق؛ وذلك وفقًا لدراسة في جامعة بيتسبرغ الأمريكية.
كما أكد أستاذ في جامعة بيتسبرغ للعلوم الصحية ومساعد نائب رئيس الجامعة، أن تعدُّد منصات التواصل الاجتماعي تؤثِّر سلبًا على القدرات العقلية، والصحة النفسية والمعرفية للشخص، ويمكن حصر تلك السلبيات المتعددة في مجموعة من النقاط الآتية:
- بثّ الأفكار الهدامة، والدعوات المنحرفة، والتجمعات الفاسدة: مما يُحدِث خللاً أمنيًّا وفكريًّا، وخاصة أن أكثر روَّاد الشبكات الاجتماعية من الشباب مما يُسَهِّل إغراءهم وإغواؤهم بدعوات لا تحمل من الإصلاح شيئًا، بل هي للهدم والتدمير، وقد تكون وراء ذلك منظمات وتجمعات، بل ودول لها أهداف تخريبية.
- التشهير والفضيحة والمضايقة والتحايل والابتزاز والتزوير: وهي أخلاقيات تظهر على الشبكة بشكل عام لسهولة التدوين والتخفي، وهي أخلاقيات لا تحتاج بالضرورة إلى معرفة تامة بالبرمجة والبرمجيات، ولا تستند في الغالب إلى مستند شرعي حقيقي، فلا يحتاج صاحبها للتدليل أو التعليل أو الإثبات.
- التزوير من أكثر الجرائم انتشارًا على الإطلاق في تلك المواقع.
- أنها قادرة على انتهاك حقوق النشر والملكية الفكرية.
وفي النهاية فكل تقنية علمية كانت أو تكنولوجية في حياتنا لها أضرارها وفوائدها، لكن علينا استخدامها بالطريقة المثلى، وكما يقال: "ما زاد عن حده يُقلب لضده".

ثالثًا: أوغندا والإعلام الاجتماعي وصراع مع الحكومة:

أ- الاستخدامات المتعددة للإعلام الاجتماعي وأكثر الفئات استخدامًا له في أوغندا ومدى تأثيرها:

لم يكن من المتوقع عندما تم إنشاء هذه المواقع أن تُصبِح هي المسيطر الأول والأخير في حياتنا اليومية؛ فهي مصدر التواصل مع الآخرين، سواء على المستوى الأُسَرِيّ أو الأصدقاء الجدد والقدامى، أو زملاء العمل، أو رجال الأعمال، وما إلى ذلك؛ فأصبحت هي المنصة الأولى التي تبنَّاها الأوغنديون اليوم من خلال فيسبوك، تويتر، واتساب(38).
ففي عام 2017م، نما وضع أوغندا الاجتماعي بطرق عديدة، وكانت تلك الوسيلة "الإعلام الاجتماعي" هي الطريقة التي أثَّرت على الحياة الأوغندية فتبنَّى الأوغنديون

تقنيـات جديـدة أدَّت إلى إزالـة الحـواجز والحـدود الـتي تُسـتخدَم لتميـيز التفـاعلات الشخصية والاتصالات داخل مجال العمل العام(39).
فتم الاعتماد على استخدام وسائل الإعلام الاجتمـاعي في غيـاب سياسـة تنظيميـة، فكان الغرض إلقاء الضوء على مـدى تـأثير الإعلام الاجتمـاعي في الأُسَـر الأوغنديـة بهدف تحديد كيف يتم اسـتخدامها، ومـا هي الطريقـة المثلى في الاسـتخدام؛ فلقـد أصبح الإعلام الاجتماعي جـزءًا لا يتجـزأ من الحيـاة اليوميـة، ويمكن اعتبـاره أسـلوبًا سـائدًا للتواصـل، وهـذا ينطبـق على جميـع الأعمـار على الـرغم من أن الغالبيـة المسـتخدمة هم من الشـباب؛ حيث يسـتخدمونها في الشـات، وتبـادل الموسـيقى والفاشون، والتحدُّث عن الفنانين المفضلين لديهم، وفي بعض الأحيـان يتم التطـرق إلى السياسة، ولكنها ليست هي محور الحديث.
ولكن الملاحظ أنه ليس هناك فـرق في الاسـتخدام بين الإنـاث والـذكور عكس دول كثيرة داخل القارة الإفريقية؛ فالنسبة في التعامـل مـع الإعلام الاجتمـاعي متسـاوية في الاستخدام، أما الفئة الأكبر عمرًا فيكون التعامـل مـع الإعلام الاجتمـاعي بشـكل مختلف؛ إما للتسلية أو المشاركات السياسية، وتبادل الحوارات والأفكار، أو الترويج للأعمال والأنشطة التجارية؛ كما أنها تُسَهِّل عملية التواصل مع العملاء المسـتهدفين مجانًا؛ فهي الأرخص، رغم ما تفرضـه الحكومـة من ضـرائب؛ إلا أنهـا تُعتَـبر الأرخص على الإطلاق في التواصل مقارنة بالرسـائل النصـية، سـواء في الإعلان عن المنتج، وهي الأسرع في التسويق، كما أنها توفِّر الكثير من الوقت في حالة تبادل الملفــات الـتي يمكن إرسـالها عـبر تلـك الوسـائل دون التقابـل وجهًـا لوجـه؛ فقـد يكـون من الصعب نقلها حـال عـدم وجـود هـذه الوسـائل نظـرًا لوجـود الشخصـين في بلـدين مختلفين.
لقد كـان لوسـيلة الإعلام الاجتمـاعي الفضـل في اتخـاذ الحكومـة موقفًـا في صـالح العمالة الـتي يتم تصـديرها إلى المملكـة العربيـة السـعودية، فقـد عقـدت الحكومـة الأوغندية مع المملكة اتفاقًا على تصدير عمالة أوغندية من خريجي الجامعات للعمل هناك، وهي وسيلة لمعالجة ارتفاع معدلات البطالة بين الشباب في الدول الإفريقيـة عامـة، وفي أوغنـدا خاصـة؛ لكن مـا حـدث من سـوء المعاملـة لتلـك العمالـة عقب انتشار فيديو لعاملين عبر وسائل الإعلام الاجتمـاعي ذكـروا أنهم تعرضـوا للتعـذيب، فقامت الحكومة بإيقاف إرسال العمالة المنزلية إلى المملكة، وهنا نجد أن الطريقة التي تم بها عـرض الفيـديو كـانت سـببًا في تحريـك الحكومـة بشـكل إيجـابي، على الرغم من أن الحكومة قد تلقت الشكاوى من قبل، لكنها لم تتحرك بإيجابية إلا بعــد

انتشـار الفيـديو عـبر وسـائل الإعلام الاجتمـاعي، وهي طريقـة اسـتخدمها الشـعب الأوغندي للتعبير عن عدم رضائه عن مثـل هـذه الانتهاكـات الـتي تُـرتَكب في حقـه، وكان لها رد فعل إيجابي(40).

وعلى الرغم من الاسـتخدام الصـحيح لبعض الفئـات عـبر تلـك الوسـائل إلا أنـه في أحيان أخرى قد تُستخدم بطريقة خاطئة تؤثر على المجتمع كلـه، فهـا هـو يُسـتخدَم في إثارة الفتن ونشر الإباحية عبر وسائل الإعلام الاجتماعي "فيسـبوك"، ليس ذلـك فحسب، بـل أصـبح هنـاك استشـارات ونصـائح عـبر تلـك الوسـائل لتحسـين الحيـاة الجنسية عن طريق إرسال تسجيلات مصورة لمن يريدون، وفي اعتقادي الشخصـي أن مثـل هـذه الأشـياء تـؤثِّر بالفعـل على المجتمـع، وأضـم رأيي إلى رأي الـوزير "سيمون كولـودو" بضـرورة إصـدار القـوانين الـتي تكـافح وتَحُـدُّ من الجـرائم الـتي تُرتَكب في حق المجتمع، ولها أثر ضارّ بالفعل على مجتمع، ليس داخل أوغندا فقط، بل أيضًا في القارة الإفريقية بصفة عامة.

ولا بد من التوعية مِن قِبَل الحكومـات للمجتمـع والأسـرة ومؤسسـات التعليم حـول خطر تلك المواد وانتشارها في المجتمع.

ب- الشائعات والنميمة سبب فرض الضرائب ووضع القوانين

لا شـك أن الهواتـف المحمولـة والمنصـات الاجتماعيـة لهـا آثـار إيجابيـة في إحـداث التغيـير بإفريقيـا؛ حيث أعطت العـوام فُـرَص المتابعـة والمشـاركة في السياسـة، والتحركات الاجتماعية، والنقاشات حول القضايا الوطنية المهمة(41).

فقد أصبحت وسائل الإعلام الاجتماعي في عصرنا هذا مادة خطرة لتناول الأحـاديث والتأثير على الرأي العام، وإثـارة البلبلـة في المجتمـع؛ فمنـذ عـام 2015م شـهدت العديد من الدول الإفريقية محاولات حكومية لإصدار قوانين تتعلق بتنظيم اسـتخدام وسائل الإعلام الاجتمـاعي، غـير أن النقـاد يقولـون: إن هـذه القـوانين قـد تُسـتخدَم للقضـاء على "حريـة التعبـير" والأصـوات الـتي تـروِّج للحكم الرشـيد، ومشـاركة المواطنين.

وقـد سـبق وحـاولت كـلٌّ من نيجيريـا وجنـوب إفريقيـا وضـع قـوانين لتنظيم مواقـع التواصـل الاجتمـاعي، ونجحت أنجـولا عـام 2016م في سـنّ قـوانين الصـحافة والوسائل الاجتماعية، إلا أن ما أثار انتباه الجهات الدولية **مؤخرًا:** إجبـار السـلطات التنزانيـة المـدونين على دفـع مبلـغ مـالي كـل سـنة، ثم فـرض أوغنـدا ضـريبة على استخدام وسائل الإعلام الاجتماعي(42).

فقـد تم بالفعـل إغلاق الـدخول إلى منصـات الإعلام الاجتمـاعي في أوغنـدا خلال الانتخابات الرئاسية في عام 2015م؛ لوقف انتشار الأكاذيب، لكن معارضي القانون يرونها خطوة لخنق الانتقادات الموجهة للرئيس يـوري موسـيفيني الـذي يحكم البلاد منذ عام 1986م، والذي أشار إلى أن وسائل الإعلام الاجتماعي تشـجِّع "الشـائعات والنميمة"، وعلى إثر تصريحاته تلك شرَع البرلمـان الأوغنـدي بتشـريع قـانون جديـد يفرض الضرائب على مواقع التواصل الاجتمـاعي؛ حيث ورد في التقـارير الإحصـائية (وفقًا لبيانات هيئة الاتصالات الأوغندية) أن 40% من سكان أوغنـدا (البـالغ عـددهم 40 مليون نسمة) أصبحوا يستخدمون الإعلام الاجتمـاعي، فـأقرَّ البرلمـان الأوغنـدي قانونًـا جديـدًا يفـرض الضـرائب على خـدمات وسـائل التواصـل الاجتمـاعي مثـل واتساب، فيسبوك، تويتر، جوجل، انستجرام، وغيرهـا من المواقـع الـتي تسـاعد في التواصل بين أفراد المجتمع؛ ودخلت الضريبة حيِّز التنفيذ في السنة المالية 2018 - 2019م، وعليها يدفع كل مستخدم مبلـغ 200 شـلن أوغنـدي يوميًّا، وهـذه الضـريبة ليست إلا أداة جديدة لقمع حرية التعبير، وتنظيم مشـاركات المواطـنين الـتي كـانت خارج سيطرة الدولة(43).

كمـا أنهـا تقلِّص الـدور المركـزي المتزايـد لوسـائل الإعلام الاجتمـاعي في التنظيم السياسـي؛ حيث يـرى منتقـدي الـرئيس موسـيفيني أن حكومتـه توظِّف عـددًا من التكتيكات للحدِّ من الحوار السياسي، وتـدوس الحقـوق المدنيـة وتخنـق المعارضـة؛ هكذا قال نيكولاس اوبيو محامٍ مقيم في كمبالا ورئيس منظمـة حقوقيـة دوليـة. في حين أن الحكومة بالفعل وجَّهت لبعض معارضـيها تهمـة الإهانـة عـبر وسـائل الإعلام الاجتماعي "فيسـبوك"، وأنهـا تسـتخدم هـذه المنصـات بالفعـل لتعبئـة الاحتجاجـات ضدها.

وهناك حادثة أحدثت ضجة كبيرة على مواقع الإعلام الاجتمـاعي مـا بين الصـور على تويتر، ووضع إشارات ساخرة تخصُّ الرئيس الأوغندي؛ حيث شُوهِدَ الرئيس الأوغندي أثناء إجراء مكالمة طويلة بينما يجلس على كرسي محمول على جانب الطريق بعـد إيقافه لموكبه لإجراء تلك المكالمة وذكَر تقرير نشرته صحيفة الجارديان البريطانيـة أن الرئيس الأوغندي يوري موسـيفيني كـان في طريقـه إلى مشـاركة الجمهـور في منطقة جنوب غرب اسنجيرو عندما توقف موكبه على جانب الطريق، وأفرد كرسـيًّا محمـولاً وأجـرى مكالمـة اسـتمرت حـوالي ثلاثين دقيقـة، وتم نشـرها عـبر وسـائل الإعلام الاجتماعي "فيسبوك".

فلم يمـر الكثـير من الـوقت حـتى انتشـرت الصـورة بين الأوغنـديين الـذين قضـوا يتكهنون من هو الطرف الثاني لتلك المكالمة المهمة تحت وسم "UOT#" مـع مَن كان يتحدث، وضاعف المواطنون الأوغنديون من التهكُّم حول هذه الواقعة من خلال الهاشتاج، وتساءلوا عن برتوكول الرئاسة الذي يقضي بإيجـاد بقعـة تصـلح للجلـوس والتحدث في الهاتف، وتحدوا الآخرين في القيام بنفس الشـيء في إشـارة سـاخرة تحت اسم مستوحًى من الاسم المستعار للـرئيس موسـيفيني M7 بعنـوان # M7 challenge (44).

وفي اعتقادي أن ذلك أيضًا كـان سـببًا من الأسـباب وراء فـرض الضـريبة على تلـك الوسائل الإعلاميـة؛ إذ اعتـبر الـرئيس الأوغنـدي أن ذلـك نـوع من هتـك الخصوصـية والتشهير؛ نظرًا لأنها متاحة للجميع، وأن تلك الضريبة تعتبر نوعًـا من أنـواع العقـاب للشعب الأوغندي للحدِّ من استخدام تلك الوسيلة التي أصبحت أكثر فاعلية في نشر الأخبار بطريقة سريعة تثير الرأي العام.

ولـدينا حالـة واقعيـة من اثـنين من المواطـنين الأوغنـديين عن رأيهم حـول وسـائل الإعلام الاجتماعي لديهم، ومدى تأثيرها على الشـعب الأوغنـدي؛ سـواء بالإيجـاب أو السلب.

يقول بورونجو روجـرز من أوغنـدا: أرى أن لكـل شـيء في العـالم ممـيزات وعيوبًا أيضًا، وهذا ينطبق على الإعلام الاجتماعي في أوغندا، فمن عيوبـه من وجهـة نظري أن الناس تسيء استخدام وسائل الإعلام الاجتماعية؛ عن طريق نشر الصـور العارية، والفيديوهات الفاضحة بين الشباب في المجتمع.

- كما يستخدم آخـرون وسـائل التواصـل الاجتمـاعي للخـداع، أو للإعلان عن أعمـال مزورة أو وظائف غير موجودة في نهاية المطاف تؤدي إلى أن يخسر الشباب المال أو ما هو أكبر مثل الاختطاف؛ فيخسرون أرواحهم من الغرباء.
- كما تُستخدم وسائل التواصل الاجتماعي لإشاعة العنف السياسي بين المواطنين.

ويضيف روجرز: أما عن مزايا الإعلام الاجتماعي فيمكن تلخيصـها في أنهـا سـاعدت الناس في أوغندا على التواصل بسهولة عبر وسـائل التواصـل الاجتمـاعي أكـثر من الزمن الماضي عندما كانت الوسائل المتاحة هي فقط كتابة الرسائل أو المكالمات الهاتفية.

- كما تتيح لنا وسائل التواصل الاجتمـاعي تحـديث الأخبـار حـول العـالم؛ فنبقى على علم تام بجميع المستجدَّات السياسية والاقتصادية حولنا.

- وأخيرًا، فقد ساعدت الناس على الإعلان عن أعمالهم بطريقة سهلة وسريعة تحقِّق أهدافهم الاقتصادية.

وفي هذا الشأن يقول دينيس أوتينو مواطن أوغندي يعمل في مصنع للمواد الغذائية في كمبالا:

في الواقع، فإن الإعلام الاجتماعي له تأثير كبير على مجتمع أوغندا؛ فهو يعتبر الوسيلة الرئيسية للاتصال بين الشباب الآن، سواء عبر الفيس بوك أو الواتساب.

وفي رأيي إنها منصة تنويرية يستطيع من خلالها جميع الأشخاص من مختلف الأعمار الوصول إلى الأخبار حول ما يحدث في البلاد وخارجها.

كما أنها الوسيلة التي يرتبط بها الأوغنديون الآن بالعالم الخارجي، بعد أن كنا في عزلة تامة عنه. وهي الوسيلة الشعبية الأولى للتعبير عن وجهات النظر حول المنبر السياسي والاجتماعي؛ حيث يمكن لجميع الناس من مختلف الأعمار الوصول إلى الأخبار حول ما يحدث في البلاد.

ولكن في نفس الوقت هناك من يسيء استخدام هذه الوسائل بنشر العديد من الشائعات الكاذبة التي تثير البلبلة في البلاد.

النتائج والتوصيات:

من أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

- وسائل الإعلام الاجتماعي لها آثار خطيرة على الدول والمجتمعات؛ لأنه لا توجد قوانين تحكمها، رغم أن هناك بعض الدول حاولت تحجيمها وفرض الضرائب عليها؛ إلا أنها ما تزال الأقوى في التأثير والاستخدام.
- هذه الوسيلة تُعَدُّ الأكثر خطورة على المجتمعات النامية؛ نظرًا لانتشار الأمية في تلك الدول.
- تلك الوسائل قد تؤدِّي إلى التوحُّد والاكتئاب والانتحار، وبالتالي تؤثر على المجتمع والأُسَر.
- كانت تلك الوسيلة سببًا من أسباب الطلاق والتفكك الأُسَرِيّ في الآونة الأخيرة بشكل متزايد.
- تُظْهِر تلك الوسيلة دائمًا عكس ما هو موجود حقيقة لدى البعض؛ بمعنى أن البعض يتجمل عبر تلك الوسيلة.

التوصيات:

- ضرورة وجود الرقابة الأُسَرِيَّة أولاً من جهة؛ كما أنه لا بـد من حَظْـر بعض المواقـع التي تُعَدُّ هي الأخطر على المراهقين وصغار السنِّ لمـا يُتَـاح في تلـك الوسـائل من أخبار وصور ومواقع غير مسموح لتلك الفئة العمرية بمتابعتها.

- توعية الأُسَر بخطر تلك الوسائل، وعرض الأضرار الصحية من ورائها بـل، والانتبـاه للمخاطر النفسية أيضًا.

الإحالات والهوامش:

(*) كاتبة وباحثة مصرية

(1) د. عواطـف عبـد الـرحمن، "الإعلام الإفـريقي في عصـر المعلومـات" المكتبـة الأكاديمية، 2011م، ص23.

(2) د. عواطف عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، ص23.

(3) د. عواطف عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، ص24.

(4) د. عواطف عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، ص25.

(5) د. عواطف عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، ص26.

(6) Ken Sondheim (5-8-2011),”Where They Started, The Beginning Of Facebook and Twitter: A Brief History Of Social Media” www.business.com Retrieved 7 -4 - 2018 Edited

(7) Ken Sundheim,op,cit

(8) Michael Ray,” Social Network “ www.britannica.com Retrieved 7 -4 - 2018 Edited

(9) Ken Sundheim,op,cit

(10) Michael Ray,op,cit

(11) Michael Ray,op,cit

(12) Michael Ray,op,cit

(13) Michael Ray,op,cit

(14) لها أون لاين "مواقع التواصل الاجتماعي ما هي ومتى بدأت؟ ومـتي سـتنتهي؟ 2013م، على الرابـط التـالي:

http //:www.lahaonline.com/articales/view/43682.htm

(15) لها أون لاين، مرجع سبق ذكره.

(16) د. خضر مصباح الطيطي "إدارة تكنولوجيا المعلومات" الطبعة الأولى، 1433هـ- 2012م، دار الحامد للنشر والتوزيع.

(17) http://www.ita.int/pressoffice/press_releases/2014/68-fr.aspx#,wdlporlhdiu

(18) Ministry Of Youth And Sports In Egypt

(19) http://www.jeuneafrique.com/263587/society/facebook-limmense-majorite-utilisateurse-africains-privilegie-mobile

(20) http://www.jeuneafrique.com/op.cit

(21) http://www.jeuneafrique.com/op.cit

(22) مؤسسة شبكة زير التعليمية:
http://www.scidev.net/mena/education/scidev_net_at_large/elearning-africa-development-pillar.html

(23) د. فاطمة علي محمد، "الأوضاع التعليمية وحال اللغة العربية مع وجود أقلية مسلمة في كينيا" مجلة دراسات إفريقية.

(24) فؤاد القبلي، "شبكات التواصل الاجتماعي والتمكين الديموقراطي .. أية علاقة"، هل تساهم وسائل التواصل الاجتماعي في تمكين الديموقراطية؟ http://www.m.machahid.info/175516.html

(25) فؤاد القبلي، مرجع سبق ذكره.

(26) الإصلاح نيوز 10/5/2016م: http://www.islahnews.net/385797.html

(27) http://www.alwalanvoice.com

(28) الإصلاح نيوز 10/5/2016م.

(29) أحمد الجناحي.

(30) رامي الديس، "المعلومات عبر وسائل التواصل الاجتماعي سرعة على حساب أصول المهنة"، دنيا الوطن، 2015م.

(31) رامي الديس، مرجع سبق ذكره.

(32) جمال سند السويدي، "وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية من القبيلة إلى الفيسبوك" الطبعة الأولى، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2013م، ص38.

(33) جمال سند السويدي، مرجع سبق ذكره، ص41- 93.

(34) جيهــان حســن أمين، "دور شــبكات التواصــل الاجتمــاعي في تنميــة الــوعي السياسي: دراسة حالة الشباب ثورة 25 يناير 2014م".
(35) ويكبيديا: الانتقادات في وسائل الإعلام الاجتماعي والآثار الإيجابية.
(36) فاطمة عبد القادر عبد العزيز، "مخاطر استخدام مواقــع التواصــل الاجتمــاعي علي المراهقين وكيفية مواجهتها" رسالة ماجستير غير منشورة 2016م.
(37) إسراء محمد محمد إبراهيم، "تأثير تعـرُّض الشـباب الجـامعي للأخبـار السـيئة على مواقع التواصل الاجتماعي واتجاهاتهم نحو العنف دراسة تحليلية".
(38) Back, A., Halonen, M., Heinonen, S (2008). "Social media roadmaps exploring the futures triggered by social media". VTT Tiedotteita - Valtion Teknillinen Tutkimuskeskus.
(39) Dr. Sarah Kaddu (Phd),” Social media and Social Transformation in Uganda‘s families” Uganda Christian University.
(40) Dr. Sarah Kaddu op.cit
(41) أستاذ حكيم نجم الدين، "قوانين وسائل التواصل الاجتماعي في دول إفريقيا.. للصـالح الوطـني أم لإسـكات المنتقـدين" 2018م ، موقـع قـراءات إفريقيـة ، على الرابط : http://cutt.us/DNl9G .
(42) أستاذ حكيم نجم الدين، مرجع سبق ذكره.
(43) http://www.emiratesvoice.com
(44) http://www.eremnews.com/entertainment/arts-celebrities/525094